

حرية المرأة في الإسلام

(كتبت خصيصا لمجلة المعرفة)

بقلم الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوا

رئيسة تحرير مجلة فينكس

طلبنا إلى حضرة الكاتبة المعروفة مدام دى سان بوا رئيسة تحرير مجلة فينكس التي تصدر بالفرنسية في القاهرة . أن تفضل بالتحدث إلينا عن رأيها في المرأة الشرقية عامة ، والمرأة المصرية خاصة ، وعما إذا كانت — باعتبارها من درسوا الحياة الشرقية دراسة تامة — ترى رأى القائلين بالسفور ، أم رأى القائلين بالحجاب . وكذلك رأيها عن مسألة الزواج ، وما يتصل به من شؤون فأمهلتنا حتى نكتبه ، وانتظرنا حتى بعثت إلينا بالموضوع الذي يرى القراء تعريبه بعدد

المحرر

* *

كم من الكلمات المعسولة ، تفعل في النفوس فعل الخمر . تظهر بالمظهر الجميل ، والصورة الخلابة للمثل العليا ، التي تبث في أذهان الناس روح الغرور والتخيل والأوهام . وخصوصا في أذهان الناشئة من الشبان والشواب فن أمثلة تلك الكلمات : كلمات الحرية ، والمساواة ، والتقدم ، والمدنية وغيرها ...

ونحن الآن سنبحث عن تلك الكلمة الأولى ، وأعني بها كلمة الحرية فحسب

* *

الحرية . هي هذه الأمنية السامية ، وتلك الأنشودة العذبة ، وذلك اللحن المستعاد ، أوهي المثل الأعلى للفرد الذي يأخذ الإنسان بلفظه الساحر فيدفعه

إلى الغرور بنفسه . والزج بها حتى تهوى به إلى الحضيض . والحق هو أن تلك الأمنية هي التي تحفر الحفرة العميقة ، التي لاقيامة للإنسان منها ، إلا حين يتقظ شعوره ، ويسمو تفكيره . أو على الأقل . حين يفجأه نور الحقيقة الساطع ، فتجعله المفاجأة وجها لوجه أمام الأمر الواقع . وكثيرا ما يكون الواقع مما لا يسر نفوسنا أو ترضيه عقولنا . على أنه مهما يكن من شيء ، فأنا أرغمون على قبوله إرغاما

من هذا . نستطيع إذن ، أن نقول . إن الإنسان ليس له نصيب من الحرية مطلقا . وكيف يكون حرا في حياته ، وهو نفسه مقيد الحرية سواء في مولده أو مماته ؟ وكيف تتحقق له تلك الأمنية العذبة ، وهو نفسه لا يعرف منها غير القشور

وإذا أردنا البحث من الناحية الاجتماعية ، نجد أن القيود التي قيدت بها حرية المجتمع بشطريه ، واحدة في كل حال من الحالات الاجتماعية ، وبتعبير أدق ، نرى أن تلك القيود ، هي بذاتها ، الإرادة السامية ، والقوة المتسلطة على الوجود السكلي نفسه

والحرية ، إن هي إلا نتيجة إحساس بالشخصية ، أو نتيجة شعور بالفردية تخلصت من بعض قيود دينية أو اجتماعية

ولقد انبعث في الغرب ، هذا النوع من الحرية ، حيث ظهر فيه بأبهى المظاهر الخلابية ، وأجمل الصور الخداعة . ولهذا ارتكبت تحت ستاره ، كثير من المظالم الفردية المروعة . ووقع في ظله كثير من الأخطاء الأخلاقية المفجعة ولقد صار هذا النوع الذي يخفى تحت المظاهر الخلابية - سما يسرى في جسم الإنسانية ، حتى يهلكها تدريجيا . وهذا هو ما نشاهده في هذا العصر نفسه

وقد اندفع الغرب بذلك النوع اندفاعا جنونيا ، وانساق بشره المحقق ، انسياقا تاما ، حتى أضحي معروفا بذلك دون غيره

وهذا الغرب نفسه هو الذي جلب إلى الشرق هذا العلم الخداع (علم



(صورة مدام دی سان بوا صاحبة المقال)

الحرية) . الذى يستر بين ثنياه شر الأخطاء وأشد المصائب
ولقد ضل به كثيرون فى الشرق ، متناسين تقاليده التى كانت سر عظمته
وسبب روعته ، والتى ليست - كما يعتقد أو يدعى البعض - سبب نومه . ذلك
النوم الذى أراه فى الحق ليس إلا نوما عاديا لجنس البشرية التى تخضع بطبيعتها
لحكم القوانين الطبيعية ، من ليل ونهار . وكما أن الظلام هو ليل الطبيعة ، كذلك
لابد للخلوقات من ليل تتمثله فى النوم
ولو فرض أن ثمة فائدة تعود على الشرق من تلك اليقظة التى أرغمه عليها
الغرب . فليس يستنتج من ذلك . وجوب اتباعه وتقليده ومحاكاته .

قد يسألنى سائل فيقول : وكيف ذلك ؟

نقول إن السبب . هو ماتولد عن تلك الانقلابات أو عن تلك العدوى
السياسية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والفنية - فى الشرق من عدم التوازن ،
الذى كان سببه غرابة تلك الأفكار عنه

ألم ينشأ عنها أن بعد الناس عن القرآن تدريجيا ؟ والقرآن هو هذا الكتاب
الكريم الكامل . الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . سواء ذلك فى أحكام
الفرق والجماعة . أو فى النفس ، والروح ، والجسد . أو فى علاقة الإنسان بربه
وعلاقته بالناس ، وعلاقته بنفسه فى حياته الخاصة والعامة . . . الخ

والمرأة تعتبر فى كل زمان ومكان القطب السالب ، الغير فعال .
ويعتبر الرجل القطب الموجب الفعال ، ولكن باتصالهما ببعضهما البعض . يتم
كل منهما عمل الآخر . ولهذا تعتبر المرأة دائما ، الحارس اليقظ الأمين على
التقاليد التى تنعكس منها التقاليد الضرورية ، المعهود بها إلى الرجل فى الحياة
الخارجية

وقد تأثرت - نوعا ما - المرأة المسلمة المتحضرة باتصالها بالمرأة الغربية .
فأصبحت هى الأخرى تحلم بالحرية وتغبط أختها التركية على انتقالها من الحرم
إلى صالات الرقص ، وتعلم فنونه ، وتناول شراب (الكوكتيل) بدل شراب الورد

وفي فرنسا يظهر لها غريبا جدا ، أن المرأة الفرنسية لاتذهب إلى أماكن اللهو الكثيرة ، مثل « المونمارتر » و « الفولى برجير » بينما لايفوتها اقتناء أحدث الملابس لآخر طراز (الموده) . فتستبدل فى وقت قصير ملابس عالية القيمة بأخرى تساويها إن لم تكن أقل من الأولى متانة وتحملا

وإذا بحثنا مسألة المرأة من ناحية الطراز (الموده) يكون بحثنا سطحيا فى الواقع . وقد أصبح الطراز بتغيره المستمر ، وتبدله الكثير ، واهتمام كل النساء طول حياتهن به — سواء كن صغيرات أو كبيرات ، قبيحات أو جميلات — بل وعدم ازدراء الرجل له بسكوته عنه . أصبح هذا الطراز يعد الطابع المشين للزمن والرمز المزرى للعصر ، فيقال عصر الموده

والحق أن التغيير ، والتبديل ، والتخيلات هى الأعداء الحبيثة للدودة للثبات ، والمبادئ ، والتقاليد

وإذا كانت المؤثر فى الإنسان ، هو ما يسمى بالحياة الداخلية ، فلا ينكر أحد أن مظهر الإنسان — الذى يرسمه لنفسه تبعالقوانين التقليد — له تأثيره البين عليه . وطريقة الأوضاع ليست بدون قيمة فى الحق إذ أن الإنسان فى نهاية تقليده لها ، لابد ، وأن يشبه ما حاول الظهور به منها

وتقليد المرأة التى من أمة معينة ، للملبس أختها من أمة أخرى ، أمرله أهميته ، حتى ولو لم يضع الكتاب المقدس لتلك الأمة أحكاما للملبس . على أن هذه الحال . . (عدم وضع الأحكام) ليست فى القرآن ؛ الذى وضعها ، وأحكم وضعها تماما

يتضح من هذا . أن تمرد المرأة على الملبس — وكلما تكون متعلقة تعليما كاملا — يدل على أنها تعاني ثورة فكرية عميقة . ولكن لا ننسى أيضا أن تلك الملابس التى تصل فى قصرها إلى حد فاضح ، أمر مؤلم جدا للمرأة المسلمة ، أكثر من رفعها للثياب ، وقد أوصى الرسول العربى بالحجاب . وما كان ذلك منه تفضيلا ، أو مراعاة الطراز الأخير . ولكن أليس يعد خرافة ، أن تتبع

المرأة المسلمة عكس ما أوصى به الرسول بوضعها على الفم قطعة رقيقة شفافة من (الموسلين) تكاد لاتخفى شيئا مما أمر به أن يستر؟

ففي رسالته يعلمنا أن النساء يحب عليهن اتباع الحقائق . والحقائق المقصودة من روح الآيات القرآنية الخاصة بملابس النساء ، لا تعنى إلا مايلائم الحشمة ، ويتفق والبساطة ، بما لا يوقظ في الرجال غرائزهم الجنسية

وطبيعيا كان النقاب يلبس في أيام النبي (ص) وقد كان المقصود منه حماية الوجه ، ووقاية العينين من لفحات الشمس ، وذرات الرمال المتناثرة . وقد كان هذا النقاب موضع عناية النبي (ص) الذي ما كان لير تضي أن يرى هذا اليوم الذي تخطر فيه الفتيات المسلمات في الشوارع بقطعة رقيقة من (الموسلين) الشفاف والتي يضعنها على ثغورهن باسم النقاب ظلما . بينما لاتخفى ثيابهن القصيرة شيئا من سيقانهن الجميلة المغرية ، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدن زينتهن ، إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وقوله « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » (٢) .

السفور

ولست مسألة السفور بذات قيمة في نفسها . أما الشيء الأكثر أهمية فهو روح التعاليم ، التي تأمر بارتداء الملابس المحتشمة التي لا تثير في الرجل غريزته الجنسية

ز (١) راجع سورة النور آية ٣١ (٢) راجع سورة الأحزاب آية ٥٩

تلك في نظري هي النقطة الجوهرية . وقد تكون لهيئة المرأة التي تبدو بها ولنظراتها المثيرة ، ومشيتها الخليعة — أثر أهمية في عمل الملابس نفسها . وأراني مضطرة لأن أصرح بأن المرأة المسلمة المتحضرة تبدو الآن في هيئة مثيرة جدا

ويظهر أن امرأة القرية لم تتأثر بهذا إلا قليلا ، وسوف لا تتأثر بالمرأة الغربية ، ولكنها ستقلد سينتها هائم المدنية التي تتخذها كأنموذج عال تحتذيه وقد اقتنعت المرأة المسلمة بمظهر الحرية الكاذب الذي لاختها الغربية . وخصوصا منذ الحرب الأخيرة . ولم تحاول أن تكشف أو تدرك ما يستتر وراء هذه الحرية الجوفاء ، ولو حاولت المسلمة ذلك لرأت أنها تملك قسطا أوفر بكثير مما تملكه الغربية . فهي بفضل عناية النبي ، أصبحت مصونة ، وبعيدة عن متاعب الحياة . مقاصد الرجل السيئ . وكثير من الآيات القرآنية ، يمنع هذا الاجحاف الواقع من الرجل على المرأة . ولنقارن الآن بين حقوق المرأة الغربية وحقوق المرأة المسلمة . ثم بعد ذلك نحكم حكما عادلا دون أن نخفي القصد ؟

للبحث بقية

اطبعوا مطبوعاتكم
في مطبعة مصر
بشارع الدواوين